

الغربية وقطاع غزة مساراً عملياً ضد الحكم الذاتي وضد الادارة الاسرائيلية المدنية، وضد عزل رؤساء البلديات، رافعاً، في المقابل، شعارات النضال الوطني الأساسية، شعارات الانسحاب الاسرائيلي الكامل، والاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في اقامة دولته المستقلة المستندة إلى حق تقرير المصير، وحق كل فلسطيني مشرد في العودة إلى أرضه، وهو ما يعني في النهاية، أن اتفاقيات كامب ديفيد مرفوضة من حيث المبدأ، وليس لأنها تطرح حكماً ذاتياً قاصراً. ومن هنا شكلت الانتفاضة نفياً واقعياً لمنطق الداعين الى اعتبار الانسحاب من سيناء مرحلة جديدة في تاريخ الشرق الأوسط، لها نتائجها المحتممة وقوانينها المفروضة، ومن نتائجها وقوانينها أن لا بحث في الموضوع الفلسطيني إلا على قاعدة اتفاقيات كامب ديفيد.

وقد وصلت رسالة الانتفاضة هذه إلى عواصم العالم كله. ووصلت، بشكل خاص، إلى العواصم المعادية للقضية الفلسطينية، أو المترددة في الحسم تجاهها. واعترفت هذه العواصم، حسب تعابير سياسيينها وكتابها وصحافيينها، أن ما حدث في المناطق المحتلة يتجاوز تحليل اسرائيل للأمر؛ وهو تحليل، كان ولا يزال، يركز على أن هناك منظمة ارهابية مشاغبة هي منظمة التحرير الفلسطينية، وأن هذه المنظمة هي التي ترهب سكان المناطق المحتلة ليتحركوا ضد حكم الاحتلال، ولولا ارهابها وتحركاتها لاستتب الأمن والهدوء، ولأمكن فرض الادارة المدنية وتطبيق الحكم الذاتي دون عناء، والوصول باتفاقيات كامب ديفيد إلى نهايتها الكاملة. وقد سقط هذا التحليل الاسرائيلي لصالح التحليل الذي فرضته وقائع الانتفاضة، وهو تحليل لخصه سياسيون وصحافيون غربيون بكلمات بسيطة تقول: لقد عبرت الانتفاضة عن الشخصية القومية للشعب الفلسطيني، وتجاوزت بذلك التعبير عن التأييد السياسي لمنظمة التحرير. ومع بساطة هذه الكلمات، إلا أنها مست جوهر الموضوع، واعترفت بأن ما مثله منظمة التحرير، وما تدعو إليه منظمة التحرير، ليس تعبيراً عن وجهة نظر فريق فلسطيني، وليس مجرد موقف معتدل أو متطرف لجهة سياسية، انها الشخصية الوطنية لشعب محتل، تعبر عن نفسها بالعصيان والتظاهر والهتاف والأعلام والحجارة، وبكل وسائل التعبير الممكنة، وفي سياق ذلك تصر على أن منظمة التحرير الفلسطينية هي ممثلها الشرعي والوحيد. وحين أعلن ياسر عرفات أنه لا يدير شؤون الانتفاضة في المناطق المحتلة، كان يعبر بأسلوبه عن الفكرة نفسها، فالشعب يتحرك معبراً عن شخصيته الوطنية، وهو لا يحتاج إلى أوامر يومية حتى يفعل ذلك، فقد انطلقت شعلة النضال عام ١٩٦٥، وهذه هي تفاعلاتها الطبيعية والمنطقية، وحين يتكر الشعب ووسائله النضالية، تكون الثورة قد خرجت من إطارها التنظيمي إلى إطارها الجماهيري.

وقد جاءت مشاركة الفلسطينيين، المحتلة أراضيهم منذ العام ١٩٤٨، بأحداث الانتفاضة، لتعزز مضمون التعبير عن الشخصية الوطنية، خاصة وأن مشاركتهم جاءت من خلال الاحتفال بذكرى يوم الأرض. وبدا واضحاً، من خلال هذه المشاركة، أن الشعب